المنهج السوسيولوجي في الخطاب النقدي الجزائري؛ عبد الحميد بورايو ومحمد ساري أنموذجين

Sociological Method in the Algerian Criticism Discourse: Abdelhamid Bourayou and Mohamed Sari as case study

د. مريم شويشي، د. محمد وهاب
جامعة مصطفى اسطمبولي -معسكر- الجزائر
meryemch14@gmail.com
mwahab138@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/07/15 تاريخ القبول:2021/07/21

الملخّص:

يهتم هذا العمل بإشكالية التلقي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر للاتجاهات النقدية الغربية المتطورة عن المنهج الواحد، تلك الاتجاهات أو النظريات المتداخلة التي تؤدي في شموليتها إلى الخلط المصطلحي المفهومي كما هو الحال مع النقد السوسيولوجي،

ومن خلال القراءة في الجهود النقدية في هذا المجال للناقدين؛ عبد الحميد بورايو ومحمد ساري يمكن ملاحظة الرؤية النقدية ومنجزها عند الناقدين اللذين تميزا بمحاولة الفهم الفلسفي المعرفي العميق والجاد والتطبيق النقدي غير الساذج بمنطق تعالي النص الأدبي عن الخطاب النقدي,

هذا ما سنحاول الكشف عنه في هذا البحث، باعتمادنا على الوصف والتحليل، وآلية نقد النقد كلما اقتضى الأمر ذلك.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النقدي؛ المنهج السوسيولوجي؛ الاتجاهات النقدية؛ عبد الحميد بورايو؛ محمد ساري.

ABSTRACT:

The present paper sheds light on the way Algerian criticism discourse receives and tackles Western criticism movements that share the same original view. In fact, these overlapped movements and theories generally lead to terminological and conceptual confusion which is the case of sociological criticism.

Through the exploration of critical efforts of Abdehamid Bourayou and Mohammed Sari, it is clear to perceive the critical view of these two critics who tried to tackle the deep and serious philosophical understanding and to explore the artful application of criticism through keeping literary work above criticism discourse.

This we will try to explore it depending on the dexription and the analysis and the mechanism critic of criticism if it was a necessary.

Key-words: criticism discourse, sociological method, critical movements, Abdehamid Bourayou , Mohammed Sari.

المقدّمة:

ألقت الحركة النقدية الغربية في حقل النقد السوسيولوجي ظلالا مصطلحية عديدة على الساحة النقدية العربية عموما والجزائرية خصوصا، بداية من: "سوسيولوجيا المضامين أو الأشكال"1، فالنقد السوسيولوجي، وسوسيولوجيا النقد الأدبي، والسوسيولوجيا البنيوية والسوسيو بنائية،(البنيوية التكوينية أو التوليدية) ، والسوسيو نصية، والسوسيو نقد، وعلم اجتماع الأدب، وعلم اجتماع النص الأدبي وعلم اجتماع الشكل الأدبي...كلها مصطلحات تكاد تتوزع في الخطابات النقدية الجزائرية، توزع فهم اتجاهات النقد الاجتماعي الجدلي وتطوره.

وعليه يمكن التساؤل عن الكيفية التي تلقى بها النقاد الجزائريون المناهج النقدية؟ وهل تمكنوا من التأسيس لخطاب نقدي جزائري برؤية نقدية خاصة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات يعمد البحث سبيل القراءة النقدية التحليلية للخطابات النقدية عند الناقدين عبد الحميد بورايو ومحمد ساري.

إن ما يشفع للتراكم المصطلحي المذكور أعلاه حضوره هو التنوع ذاته الحاصل من حركة تطور المنهج الاجتماعي عند الغرب. مما جعل النقد الجزائري أمام تحد ورهان؛ أما التحدي فمتعلق بمسايرة تطور المنهج وتلقي كل جديد فيه، وكل توجه سوسيولوجي، وأما الرهان فمتعلق بجودة التلقي والفهم العميق للتطور المنهجي. وعدم الارتباك والخلط بين اتجاهات المنهج، وكذا الروح النقدية التي يتوجب حضورها أمام التلقي الساذج.

وعلى هذا سيتم البحث في الممارسة النقدية الجزائرية التي حاولت تمثل أحد اتجاهات المنهج السوسيولوجي وكانت قريبة من الاتجاه السوسيو بنائي لأن الفواصل بين اتجاهات النقد السوسيولوجي غالبا ما تغيب عن النقاد المستقبلين للمنهج، ولأن مسميات النظريات غالبا ما تتجه نحو هدف واحد، فتأتي مثلا صيغة التحليل 'السوسيو بنائي' " تركيب طبيعي لإظهار الاستفادة المتوازنة من المناهج السوسيولوجية ومن المناهج البنائية، وفق تصور واحد مترابط العناصر"2، فيسمون مقاربتهم باتجاه السوسيو بنائي ولكنهم في الحقيقة بمحاذاته أو في اتجاه قريب، حسب تلقي مفاهيم المنهج ومصطلحه، وحسب الرؤية النقدية التي ينطلقون منها والمدونة المشتغل عليها إما محاكاة محافظة حذرة وإما اجتهادا وتجاوزا.

وإن تنوع المناهج النقدية، بل وتعدد اتجاهات المنهج الواحد، قد يؤدي في شموليته إلى الخلط أو التداخل فيما بين الاتجاهات النقدية خلال العملية النقدية، فنجد الارتباك والخلط نتيجة التبعية الكاملة للنقد الغربي تظهر في غزو المصطلحات التي يكتنفها الغموض لأنها تحمل في مضمونها شحنات معرفية وعقائدية مرتبطة بأبعاد الثقافة التي أوجدتها.

في محاولة توطين الخطاب النقدي الغولدماني

في بعض الخطابات النقدية تتجلى بوضوح ملامح **(البنيوية التكوينية structuralisme génétique)** رغم عدم التصريح بالمنهج، من خلال الممارسة ومحاولة تمثل مصطلحات المنهج وأدواته الإجرائية وشرحها ، كما هو الحال مع الناقد "**عبد الحميد بورايو**" الذي يستعمل مصطلحات المنهج دون ذكره صراحة، يقول:"نعني بشرح النص إدماج الدلالة في بنية أكبر منها تلقي الضوء على كيفية تولد هذه البنية الدالة ويعني هذا الشرح بالواقع الخارجي متجاوزا بذلك النص الخاضع للتحليل عن طريق البحث عن أبنية مشابهة تتواجد في وعي جمهور القصة بالواقع الخارجي الذي يحيون فيه، وهو ما سيمكننا من الكشف عن رؤية الجماعة الشعبية التي صدر عنها النص العام الذي تعيش فيه"3.

يأتي وفق هذا الطرح الناقد "**بورايو**" من خلال بحثه في عناصر النص وبنيته والكشف عن النماذج أو الصور الذهنية الكامنة خلف عناصر النصوص الأدبية، وتمييز ما هو موروث منها عمّا هو مبتكر، وهو ما يمكّن من معرفة الجانب العام والجانب الخاص في الإنتاج الإبداعي، مع تغليب سلطة النص على سلطة المنهج بمراعاة خصوصية النص المدروس من خلال العودة إلى الأبعاد السوسيو ثقافية والتداولية كخطوة تالية للدراسة البنيوية أو السيميائية للنصوص. فكان الاهتمام بالقراءة الخطية التي تراعي التسلسل السردي وتضع في اعتبارها العلاقات السياقية، ثم العمل على استخراج علاقات التضاد الكامنة التي تسمح بالانتقال من تحليل الأشكال إلى فحص المحتوى، أي العبور من الدراسة الشكلية إلى الدراسة الدلالية4.

ونجد الناقد "**محمد ساري**" من خلال اهتمامه بالعلاقة بين الحياة الاقتصادية والاجتماعية من جهة، والإبداع الفكري من جهة ثانية ومن ثم عقد الوساطة بينهما؛ أي أن منطقه النقدي هو الانطلاق من الأصول الاجتماعية والتاريخية للرواية أو النص المطروق، وأن ما بين النقد والأدب علاقة تحكمها الإيديولوجيا أكثر مما تحكمها الموضوعية. إذ الأدب مرتبط بخصوصية المجتمع المنتج له؛ فالرواية عبارة عن تداخل لخطابات متعددة يستحوذ عليها الكاتب ويستثمرها لصالحه، بحيث يتحول الواقع النصي إلى واقع متخيَّل يصب فيه الكاتب أيديولوجيته، وموقفه من اللغة والفن والحياة عموما5

1- من خلال الاهتمام بالنسق النصي والمنظور الاجتماعي

يهتم الناقد **عبد الحميد بورايو**. ضمن هذا التوجه . بالنص والمؤثر الاجتماعي فيه وفق رؤية تأسيسية تنطلق من نقده للوضع النقدي الجزائري، وتصديه للنصوص السردية بالدرس والتحليل دون الاعتماد على الأحكام والفرضيات السابقة يقول: "نجد نوعا آخر من المباحث التي اعتمدت على حسن التقدير والذوق، ركن أصحابها إلى تسجيل انطباعاتهم حول النصوص معتمدين في ذلك على فرضيات مستمدة من أحكام مسبقة تفرض على النص الأدبي فرضا، وبشكل تعسفي"6

هذا النقد التأسيسي عند "**عبد الحميد بورايو**" بتبني الاتجاه الذي يبحث عن المسار التاريخي والاجتماعي الذي صورته الذات المبدعة محافظا على طريق النقد غير محدث لقطيعة تامة، من خلال إجراءات البحث عن المكونات البانية التي تعطي التفسير الصحيح للإبداع؛ إذ حاول التأسيس لخطاب نقدي جزائري يفيد من الآخر دون الارتباط به ارتباطا كليا ساذجا، كونه انطلق من وعي نقدي عميق فجعل سلطة

المنهج أدنى من سلطة النص، حين اهتم برصد معطيات النص "الخطابية والبنيوية والسوسيو ثقافية وعلى إثرها يختار الآليات النقدية المناسبة للاستبطان والمساءلة، وما ذلك إلا لأن النصوص تتفاوت بنائيا وثقافيا"[7]، وهذا ما جعل النقلة النقدية الجزائرية سلسة دون قطيعة ملغية مقصية، بمرحلية وتدرج: من النقد السياقي الذي يعاين النص من خلال إطاره التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي، إلى النقد النسقي: الذي يهتم بالنص ويجعل كيانه الغالب في الممارسة والتحليل والقراءة. فيؤكد عل السياق العام لمؤلفه وهي "دعوة ضمنية إلى الإلمام بالمرجعيات الخارجية، مع تحفظ على دخول النص إلا من خلال تلك السياقات المحيطة بالمبدع"8.

نشر الناقد **"عبد الحميد بورايو"** في وقت مبكر من حياته النقدية دراسة بعنوان **'قراءة أولى في الأجساد المحمومة' لإسماعيل غموقات**. وما يميز هذه الدراسة أنها محاولة بنيوية تكوينية أنجز الناقد شطرها الأول بتناول البنية السردية للأجساد المحمومة طبقا لرؤية وصفية تحليلية وإجراءات مصطلحية جديدة، بينما وعد بإكمال شطرها الثاني لاحقا، ويرتبط الأمر بصلة البنية القصصية بالبناء الاجتماعي الذي تولدت عنه. لكن هذه المحاولة لا تأخذ شكلها المنهجي إلا في كتابه **'القصص الشعبي في منطقة بسكرة - دراسة ميدانية** -' الذي يمكن أن يكون أول تجربة بنيوية تكوينية في الخطاب النقدي الجزائري9 تنظيرا وإنجازا من خلال الاهتمام بالقص الشعبي في جوانبه النظرية والوظيفية، والسياقية (تاريخية واجتماعية)، وكذا الاهتمام بتحليل نماذج من النصوص الشعبية كاشفا عن البنى التركيبية لنموذج من كل نمط قصصي، ثم بيّن علاقة هذه البنى بالبنية الأم، والتي تولدت عنها وهي البنية الاجتماعية، مستعينا في ذلك بالمنهج البنيوي الشكلي إضافة إلى الجهاز المصطلحي البنيوي التكويني الغولدماني مثل الفهم **compréhension**، الشرح **explication** ، البنية الدالة **structure significative** ، رؤية العالم **vision du monde** ..

أما دراسته التي حملت عنوان **'منطق السرد –دراسات في القصة الجزائرية الحديثة'**، ففيها مزج بين مقولات النقد الاجتماعي، والنقد البنيوي، وفي ضوء ذلك راح يحلل أفعال الشخوص، وردودها، وتجلى له أن تصرفاتهم "بقدر ما هي صادرة عن ذواتهم، وعقدهم النفسية، وانشغالاتهم، بقدر ما هي مرتبطة بتشعبات المرحلة التاريخية التي يعيشها المجتمع الجزائري، وبكلية حياته العامة، إننا لا نكون مغالين إذا ما قلنا أن الرواية تمثل لوحة كاملة عن التطور الذي وصل إليه الوعي الوطني، وعن نوعيته، والإشكاليات التي يطرحها هذا الوعي"10

يهتم **"بورايو"** في نقده بالتحليل الخطي والدلالي أي بالنسق النصي من خلال الاستفادة من طروحات كل من **"فلاديمير بروب Brob F "** في المثال الوظائفي، و"لوسيان غولدمان **Lucien Goldman"** في البنيوية التكوينية و"أ .**جوليان غريماس Greimas A. g"** في السيميائية السردية، و"تزيفان تودوروف **tzvetan todorove"** في الشعرية، بالإضافة إلى مقترحات **"كلود بريمون Cloud b "**، ثم الاهتمام بخصوصية النص الشعبي وعلاقته بالمجتمع المحتفي به، وتفسير تشكيلات البنية سوسيولوجيا باستنباط العلاقات بين النص أو الخطاب الأدبي الشعبي مثلا وبين البنية السوسيو ثقافية التي يدور في فلكها النص الشعبي.

لقد جعل لنفسه إطارا منهجيا في مقارباته؛ إذ عمد إلى تحليل البنية السطحية الخطية والدلالية منها أي ما يمكن تسميه بالتشكيل من خلال فهمه وتحليله، ثم التفسير السياقي من خلال إرجاع دلالة النص إلى الجماعة المحتضنة له. من قناعته النقدي أو وعيه بأن "القصة ما هي إلا مظهرا للعلاقات الموجودة على مستوى القيم الجماعية، فالقصة ما هي إلا شكل، يمثل مظهرا لشيء آخر، من بين أشكال أخرى ممكنة"11، إذ الفهم البنيوي للنص لا يتأتى إلا بشرح اجتماعي لبنية أكبر، مقارنة ببنية هذا الفهم، أما النص فيقع موقع الوسطية بين مرجعه الاجتماعي، وشكله البنيوي.

يركز الناقد "**بورايو**" في كثير من نقده على توظيف مصطلحات مناهج سياقية ونسقية مختلفة، فنجده علاوة على توظيف مصطلح الاختبار عند "**غريماس**"، يركز على مصطلحات النقد الاجتماعي مثل (البرجوازية الصغيرة، والفكر البرجوازي والطبقة الكادحة)..يتضح من هذه الممارسة المصطلحية انفتاح الناقد على المنظومة المصطلحية الغربية؛ حيث نجده يعنى بتحديد الحقل الدلالي للمصطلح النقدي بالعودة إلى أصوله، على سبيل التخريج النظري، ثم يعمد إلى عملية إسقاط لابد منها في الممارسة الإجرائية دون التقيد بالتوظيف المصطلحي الجاهز، حيث نلفيه يقدم اقتراحات، وإضافات وهو بصدد مساءلة بنيوية تكوينية لنصوص جزائرية.

نجد في الخطاب النقدي لدى "**بورايو**" مواءمة بين عدة مناهج أو مبادئ نظرية كرّستها الأبحاث السابقة في مجالات سوسيولوجيا الثقافة والتحليل النفسي والميثولوجيا والأنثروبولوجيا[12] إذ حملت محاضراته الآكاديمية الأولى في محتواها قطيعة ابستمولوجية، تؤسس لقيم علمية جديدة. ثم إننا نجده يستعين بالطّروحات المنهجية والمصطلحية لدى رواد النقد الحديث والمعاصر أمثال (**رولان بارت، وكلود بريمون، وألجيراد غريماس، وتزفيطان تودوروف، وكلود لفي ستراوس**)، فدائما ما يحاول تحليل العلاقات الموجودة بين الوحدات الوظيفية مستلهما أفكار تودوروف، وكذا ربط البناء الذهني بأشكال الإنتاج الفني، وأيضا عقد الصلة بين المدلول الاجتماعي للقصص ببنائها الهيكلي.

يشير الناقد "**بورايو**" إلى أن الرؤية النقدية التي يتبناها تنطلق من البنيوية الأناسية لدى "**ستراوس**"، ومن الاتجاهات السردية الشكلية عند "**بروب**"، ومن الدراسات الدلالية عند "**غريماس**"، ومن الأبحاث الأنثو أدبية عند "**جوزيف كورتيس Courtés j**" معللا هذا بـ"وقوع الحكاية الخرافية ما بين الأسطورة والأدب، فهي ترتبط من ناحية بالفكر الميثولوجي؛ لأنها سليلة الأسطورة، ومن ناحية تمثّل الوسيط الثقافي الذي سمح بانتقال المكونات الأسطورية من الخطاب العقائدي إلى الخطاب الثقافي ذي الوسائط الجمالية والطّبيعيّة والفنّية، الهادف إلى الإمتاع إلى جانب تمثيله الرمزي لمنطق الجماعة ورؤيتها للكون"13

الناقد "**بورايو**" دائما ما يوضّح الطريقة المعتمدة في نقده، والمنهج المتبع، وأسباب تبنيه له دون سواه، والتقنيات التي وظفها في تحصيله المادة –موضوع الاشتغال- متمثلة في الملاحظات المباشرة؛ حيث عاش فترة من الزمن مع أفراد المنطقة، وحضر العديد من تجمعاتهم الشعبية، كما عمد إلى محاورتهم، وطرح بعض الأسئلة عليهم، ثم قام بترتيب المادة وانتقاء المعلومات المرتبطة بالرواية القصصية مباشرة من أجل توظيفها في تحليل النصوص، وكأن طموحه أن ينتقل لنا صورة أمينة، وصادقة عن بيئة القصص الشعبي؛ استجابة

لمطلب معاينة المادة في بيئتها معاينة دقيقة، قبل مساءلتها تنظيرا وتطبيقا إضافة إلى اهتمامه بالعلاقات التي تربط التراث المنطوق بالتراث المكتوب، وقد استنبطها خلال تتبعه الجذور التاريخية للقصص الشعبي؛ الذي تم تدوينه في مرحلة معينة، ثم تداوله من قبل الناس مشافهة، مشيرا إلى أهم التغيرات الطارئة عليه.

كما تطرق الناقد ت أيضا . إلى الدراسات السابقة التي اهتمت بالتراث الشعبي خصوصا الفرنسية منها، الهادفة إلى التعرف على سكان المنطقة، وتحدث عن الرواة مؤكدا ضرورة تمتعهم بموهبة الصياغة الفنية، والإلقاء المتميز، والتركيب اللغوي المحكم للنمط القصصي، وفي سياق ذلك يقول:"والرواة في رحلتهم مع الرواية يتفاوتون فيما بينهم؛ فيما يخص اتساع حصيلتهم من التراث القصصي، ومواهبهم الفيزيولوجية التي تتعلق بالهيئة والصوت وملامح الوجه، وسيطرتهم على أدواتهم الفنية في عملية القص، وقدرة ذاكرتهم، وقدرتهم، وجرأتهم على الخلق، والإبداع، والتجديد"14

ركّز الناقد في بحثه عن اللاوعي الثقافي والتاريخي والاجتماعي للجماعة المنتجة للقص الشعبي محل الدراسة، فتتبع المجتمع الشعبي في منطقة بسكرة بدراسة تاريخية، واجتماعية؛ من حيث الزمان، والمكان؛ فتناول التحديد الجغرافي للمنطقة، وعاين طبيعة السكان، ونشاطهم الاقتصادي؛ المتمثل في الزراعة، والرعي، كما تحدث عن السكان الأوائل، في تقصيه التاريخي للمعتقدات، والطقوس، ونظام الحكم،والمذهب الديني، والطرق الصوفية (القادرية، والرحمانية،) واللهجات.كما درس بنية المجتمع الشعبي؛ من حيث أصل السكان؛ فهم بدو رحل يحكمهم نظام العروش، وأهم ما يميزهم تلك التجمعات الشعبية، التي يلقي الرواة حكاياتهم فيها، وقصصهم الشعبية التي تمثل رافدا من روافد ثقافة المنطقة، وهذه التجمعات غالبا ما تحتضنها الأسواق الشعبية، أو كما يسميها البعض بأسواق المداحين، ومنها استقى "**بورايو**" مادته، إضافة إلى القصص الدينية التي تروى في المساجد، وقصص المقاهي، والدكاكين15.

أما عن المعتقدات الشعبية فكانت تتمظهر أساسا عبر سلوكات الأفراد، مترجمة فلسفهم في الحياة، وتصوراتهم عما وراء الطبيعة، وخلفياتهم الأساسية في ذلك هي الدين الإسلامي، بالرغم من وجود العديد من الخرافات، والبدع؛ كالاعتقاد بالأولياء، والسحر، والشعوذة، والعفاريت، والغيلان، وقدسية الأحلام16

وقد أفرد **الناقد** للإجراء قسما من منجزه النقدي، عنونه بـ **'البنية القصصية - دراسة بنيوية لنماذج من النصوص'**، وقد استهله بتمهيد وضح فيه بعض المسائل المتعلقة بالتطبيق؛ حيث قال:"ننطلق في تصدينا لدراسة نصوص القصص – موضوع البحث - من المفهوم الذي يرى في النشاط الفني تحققا ومكانيات كامنة؛ تعبر عن نفسها من خلال مختل أشكال التعبير... وسيكون هدفنا الكشف عن الهيكل البنائي للقصص، وبتعبير آخر البنية التركيبية التي تمثل الجوهر الثابت خل مختل أشكال القصص؛ موضوع الدراسة التي سبق تحديد الظروف التي تحيا فيها"17

يهتم الناقد في عملية التطبيق والممارسة النقدية بجميع المستويات بحيث لم يفصل بعضها عن بعض، وإنما يأتي فصلها كإجراء مؤقت حتى يتمكّن من تشريح العمل القصصي، مع مراعاة وجهة النظر القائلة بأن جميع العناصر المباشرة، القابلة للملاحظة في العمل الأدبي تعد مظهرا للبنية مجردة، مستترة؛ يتم التوصل إليها من خلال العمليات التحليلية العقلية التي تبحث عن النظام المثال فيها18

أما القصص فقام بتقسيمها إلى مقاطع بغية الإحاطة بدلالات النص واستخلاص الوحدات المعنوية، وحصر البنيات الصغرى والكبرى التي تتحكم في بناء النص من أجل تحديد الدلالات المضمونية. ثم عمد إلى شرح هذه البنيات بالنظر إلى البنية الشاملة –الوسط الاجتماعي- باستقراء الأبعاد الاجتماعية في القصة فبعد أن تجاوز البناء الداخلي باعتباره بنية دالة بالتحليل والتفكيك والتركيب انتهى إلى بيان علاقة النص بالبناء الاجتماعي أي شرح النص باعتباره بنية مدمجة في بنية كبرى وهي البنية الاجتماعية ليقر بالطبيعة الاجتماعية للقصة ودورها الفعال في المجتمع

2- البحث في القيم الاجتماعية وتأثيرها في النص

في هذا التوجه نجد الناقد "**محمد ساري** الذي حاول تأطير رؤية نقدية أدبية سوسيولوجية جديدة، قائمة على مرجعيات فكرية نقدية بنيوية اجتماعية، فكان توجهه النقدي قائما على فعل الحوار النقدي المنهجي، بين السياقي والنسقي، معتبرا أن رؤيته النقدية البنائية الاجتماعية تُمَكّن من الدراسة الاجتماعية للإبداع الأدبي، ولذلك نجده يلتزم بهذا الطرح من منظور أنه "حريص على إعطاء كل بعد من هذه الأبعاد حقها من الموضوعية كي يتجنب النقد السقوط في الانغلاق المضمر، سواء ذلك الانغلاق على الذات والماضي أو الانغلاق في وهم الحداثة"19 فالأدب تعبير جمالي وفني عن الإنسان وعن الحياة الإنسانية في معناها الشامل. والناقد إذ يدرس النص الأدبي،إنما يبحث عن مظاهر الحياة وعن كيفية التعبير الجمالي عنها. بذلك يبتعد الدارس من الوقوع في الشكلانية الاصطناعية المتعسفة التي لا ترى في النص الأدبي إلا أشكالا هندسية مجردة من المعنى، وكذا الشرح التقريري الذي ينظر إلى الأدب كوثيقة اجتماعية أو تاريخية، مجردة من أدبيته وعناصره الجمالية التي تمنح له متعة القراءة والخلود"20

قدم الناقد "محمد ساري" في كتابه **'البحث عن النقد الأدبي الجديد'** مجموعة من الدراسات البنيوية التكوينية لروايات جزائرية ركز فيها على البنية السردية وحللها في سياق المقارنة بينها وبين الواقع الجمعي، كما لامس كل من الشكل والمضمون في جانبهما الفني. لينتهي إلى أن الأدب هو "رسم المواقف الفردية التي لها جذور في أحداث تقع أو محتملة الوقوع والتي يصرفها غولدمان عن الفلسفة"21.

وفي كتابه **'الأدب والمجتمع'** وفي تمهيده يعرض العلاقة بين النص والنصوص السابقة له، أي التناص **intertextualité** والحوارية أو تعدد الأصوات **Polyphonie**، مركزا على دور الإيديولوجيا **Idiologie** التي تحكم العلاقة بين الأدب ونقده. ليأتي على عرض ما قدمه باختين حول الأصول الاجتماعية والتاريخية للرواية منطلقا من خلفيتين؛ خلفية لسانية وأخرى نقدية سيميائية، مركزا على فكرة أن لغة الرواية متعددة اللسان حيث تدرج ضمن خطابها كل الأجناس التعبيرية.

بعد العرض النظري يأتي محمد ساري إلى إجراء تطبيقي متمثل في البحث عن طبيعة الصراع والرؤية للعالم في رواية **'بدر زمانه'** لمبارك ربيع. منطلقا من البنية السردية وبالتحديد حوار الشخصيات. وعلاقة البطل بالسارد وكذا لغة السرد وتنوعها، ثم ينتهي إلى باقي البنى.

بعد هذا ينتقل الناقد إلى الحديث عن أيديولوجيا الشخصية الروائية موردا طروحات "ميخائيل باختين**Mikhail Bakhtine** " حول التعدد اللغوي في الاستعمال الروائي، ليصل إلى قناعة مفادها أن الإشكال اللغوي في الكتابة السردية يبقى مطروحا، باستخدام الكتاب للهجاتهم.

أما في فصله الأخير **'منهج السوسيو نقدية في دراسة الأدب'** من هذا العمل، يرى أن "السوسيو نقدية" **Sociocritique**. كما يدعوها . تدين بالكثير لأبحاث **"غولدمان"**، وأن الأيديولوجيا تندرج في صميم البحث السوسيو نقدي، الذي يرى أن العمل الأدبي عبارة عن تداخل لخطابات متعددة يستحوذ عليها الكاتب ويستثمرها لصالحه ، بحيث يتحول الواقع النصي إلى واقع متخيل يصب فيه الكاتب إيديولوجيته، وموقفه من اللغة والفن والحياة عموما22.

ونجد في كتاب محمد ساري **'في معرفة النص الروائي'** عدم إخفاء ولعه بالمعطى الغربي، حيث كان وفي المقولات النقدية البنيوية التي قدمها للباحث الجزائري، مفصحا عن تبنيه المنهج البنيوي التكويني كونه الأكثر ليونة، يتيح له فرصة التحرر من سلطة النسق ليجد لنفسه متنفسا في الجانب الاجتماعي، متخذا منه المنهج الأكثر ملاءمة لمقاربة النص الروائي الذي بدوره يرسم صورة العالم الذي يمثله، إلا أنه لم يتخلص من حرفية التطبيق وهو المتشرب لأفكار **غولدمان ولوكاتش**، الوفي لمنهج هما الرابط بين البنيات الأدبية ونظيراتها المجتمعية23

حاول تطبيق رؤيته المنهجية على نصوص روائية مثل 'الليل ينتحر' لـ بكير بوراس، و نصوص الطاهر وطار رشيد بوجدرة وإسماعيل غموقات ومالك حداد، فهما وتفسيرا مستندا على المرجعية المصطلحية للوكاتش ك (البطل الإيجابي، البطل السياسي، الفهم والشرح..) دون الوصول إلى روح المنهج، وقد اعترف بذلك في تصريح لجريدة الشعب 11 أوت 1988م، يقول: تهت في دهاليز هذا الفكر لأن ذلك يقتضي عمرا كاملا .. لا أستطيع استيعاب المنهج النقدي وخلفياته المتعددة ولم أهضم إلا القشور.

الخاتمة:

من جملة ما توصلنا إليه ما يلي،

. إن إلقاء الضوء على طبيعة الممارسة النقدية في الجزائر، يقودنا إلى الكشف عن الوعي الأدبي والنقدي على حد السواء، ومدى تمثله وتجسده في الممارسة.

. إن التباين بين الممارسات النقدية يعود إلى التباين في مستوى هذا الوعي المصاحب لكل عمل نقدي.

. من أوليات الناقد "عبد الحميد بورايو" احترام خصوصية النص المدروس.

. اختلاف الأجناس الأدبية المطبق عليها من طرف الناقدين، بين قصة ورواية وقصة شعبية.

. استند الناقد "بورايو عبد الحميد" في دراساته على مرحلتين؛ الدراسة الداخلية للنصوص والدراسة الخارجية لها معتمدا على مرحلتي الفهم والتفسير الغولدمانيين ، دون الجهر صراحة بالمنهج.

. انطلقت رؤية الناقد "محمد ساري" من أرضية فلسفية ونقدية سوسيولوجية، قائمة على دراسة العلائقية بين الأدب والمجتمع، والتي أفرزت بدورها إطار نقديا سوسيولوجيا بنائيا.

الإحالات:

1 البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، نور الدين صدار، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2018، ص 22.

2 من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية، لحمداني حميد لحمداني، بنشرة للطباعة والنشر، المغرب، 1984، ص: 20.

3 القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، عبد الحميد بورايو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: 197.

4 البطل الملحمي والبطلة الضحية، في الأدب الشفوي الجزائري؛ دراسة حول خطاب المرويات الشفوية، بورايو عبد الحميد، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص: 90.

5 الأدب والمجتمع، ساري محمد، دار الأمل للطباعة والنشر، 2009، ص: 117.

6 منطق السرد؛ دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 04.

7 الوعي النقدي في تلقي المنهج عند عبد الحميد بورايو؛ التحليل الوظائفي نموذجا، حمزة بسو، مجلة العلوم الاجتماعية، ع21، ديسمبر 2015، ص 203.

8 دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسام قطوس، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 2004، ط 1، ص 21.

9 ينظر،النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية، يوسف وغليسي، دار البشائر للنشر والاتصال، الرغاية، الجزائر، 2000، ص 121.

10 منطق السرد، بورايو عبد الحميد، ص 96.

11 القصص الشعبي في منطقة بسكرة، عبد الحميد بورايو، ص 148.

12 نفسه، ص 129.

13 الحكاية الخرافية للمغرب العربي (دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات)، عبد الحميد بورايو، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، ص 123.

14 القصص الشعبي في منطقة بسكرة، عبد الحميد بورايو، ص 35.

15 ينظر المرجع السابق، ص 21.

16 ينظر نفسه، ص 25.

17 نفسه، ص 137.

18 ينظر نفسه، ص ن.

19 الأدب والمجتمع، محمد ساري، ص 06.

20 في معرفة النص الروائي، محمد ساري، دار أسامة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2009، ص 123.

21 البحث عن النقد الأدبي الجديد، محمد ساري، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص 42.

22 ينظر الأدب والمجتمع، ساري محمد، ص 92.

23 تلقي البنيوية السردية في النقد الجزائري؛ قراءة في تاب 'في معرفة النص الروائي' لمحمد ساري، بن مايسة إلهام، نهاري شريف، مجلة فصل الخطاب، مجلد 07، ع 26، جوان 2019.

قائمة المصادر والمراجع

1- بورايو عبد الحميد، الحكاية الخرافية للمغرب العربي (دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007

2- بورايو عبد الحميد، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

3- بورايو عبد الحميد، البطل الملحمي والبطلة الضحية، في الأدب الشفوي الجزائري؛ دراسة حول خطاب المرويات الشفوية، ديوان المطبوعات الجامعية، .1998

4- بورايو عبد الحميد، منطق السرد؛ دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

5- ساري محمد، في معرفة النص الروائي، دار أسامة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ، .2009

6- ساري محمد، الأدب والمجتمع، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009..

7- ساري محمد، البحث عن النقد الأدبي الجديد، دار الحداثة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 1984.

8- صدار نور الدين، البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،الطبعة الأولى، 2018.

9- قطوس بسام، دليل النظرية النقدية المعاصرة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004.

10- لحمداني حميد، من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية، لحمداني حميد لحمداني، بنشرة للطباعة والنشر، المغرب، 1984.

11- نهاري شريف/ بن مايسة سهام، تلقي البنيوية السردية في النقد الجزائري؛ قراءة في تاب 'في معرفة النص الروائي' لمحمد ساري ، مجلة فصل الخطاب، المجلد السابع ، العدد 26، جوان 2019.

12- وغليسي يوسف، النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية، دار البشائر للنشر والاتصال، الرغاية، الجزائر، 2000.